

# الجزء الثاني

# الحديث الموضوعي

# المحاضرة السادسة

## تعريف الحديث الموضوعي

### وأهميته

المبحث الأول: تعريف الحديث الموضوعي

المبحث الثاني: أهمية الحديث الموضوعي

### المبحث الأول: تعريف الحديث الموضوعي

يقتضي الحديث عن منهج الحديث الموضوعي أول ما يقتضي بيان وتعريف المصطلحات الأساسية المكونة لهذا المصطلح الجديد، ومن أهم العناصر المكونة لهذا المصطلح مصطلحي الحديث والموضوع، فما هو الحديث؟ وما هو الموضوع؟ وما هو الحديث الموضوعي؟

#### أولاً: تعريف الحديث

سنبدأ بالتعريف اللغوي للحديث وهنا يمكن بالعودة إلى المعاجم اللغوية تسجيل ملاحظة مهمة وهي أن معاني مفردة الحديث تدور على ما يلي:  
-الحديث بمعنى الجديد من الأشياء، وهو ضد القديم.  
-الحديث بمعنى الخبر والكلام الذي يصدر عن المتكلم وينقله الناس عنه.

جاء في معجم العين: "الحديث: الجديد من الأشياء"<sup>1</sup>، وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "الحاء والذال والفاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن [...] والحديث من هذا، لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء"<sup>2</sup>، وهكذا فالحديث هنا بمعنى الجديد ضد القديم، وهو الكلام الذي ينقله الناس، وجاء في مختار الصحاح لأبي بكر الرازي: "الحديث الخبر قليله وكثيره"<sup>3</sup>، وجاء في المصباح المنير: "الحديث ما يُتحدث به ويُنقل"<sup>4</sup>، وجاء في لسان العرب ذكر هذه المعاني وغيرها متوالية بعضها في إثر بعض، قال ابن منظور: "الحديث نقيض القديم [...] الحديث: الجديد من الأشياء [...] والحديث: الخبر يأتي على القليل والكثير [...] والحديث ما يحدث به المحدث حديثاً"<sup>5</sup>، وهكذا فمعظم المعاجم تتفق على هذه المعاني جميعاً أو تشير إلى واحد منها.

هذا في المعنى اللغوي للحديث، أما اصطلاحاً فقد قال العلماء عن علم الحديث: "هو علم يعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وأحواله"<sup>6</sup>، وعليه فالحديث هو كل ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو حال، وكما جاء في فتح الباقى شرح ألفية العراقي للقاضي السنيكي من أعلام القرن العاشر الهجري: "(وأهل هذا الشأن) أي: الحديث. أي معظم أهله (قسموا السنن) المضافة للنبي صلى الله عليه وسلم قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً أو صفة"<sup>7</sup>، وهناك من توسع في معنى الحديث فأضاف أقوال الصحابة والتابعين، جاء في توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار للصنعاني من أعلام القرن الثاني عشر للهجرة وصاحب كتاب "سبل السلام" في شرح "بلوغ المرام في أحاديث الأحكام" لابن حجر العسقلاني، قال الصنعاني عن علم الحديث: "علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قيل: أو إلى صحابي فمن دونه، قولاً أو فعلاً أو هما أو تقريراً أو صفة، وقيل: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والخبر: ما جاء عن غيره"<sup>8</sup>، هنا نلاحظ اختلاف العلماء في ضبط مصطلحات الخبر والأثر والحديث والسنة وما يدخل فيها من غيرها، من

<sup>1</sup> الفراهيدي، معجم العين مرتباً على حروف المعجم، ج1/ص293.

<sup>2</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2/ص36.

<sup>3</sup> الجوهري، مختار الصحاح، ص53.

<sup>4</sup> أحمد المقري الفيومي، المصباح المنير، ص124.

<sup>5</sup> ابن منظور، لسان العرب، ص796-797.

<sup>6</sup> السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ت: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، الرياض، ط1: 1424هـ-2003م، ج1/ص39.

<sup>7</sup> القاضي السنيكي، زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، فتح الباقى بشرح ألفية العراقي، ت: عبد اللطيف

الهميم، ماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1422هـ-2002م، ج1/ص95.

<sup>8</sup> الصنعاني، محمد بن إسماعيل، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، (د،ت)، ج1/ص7-8.

الأقوال والأفعال التي جاءت عن غير النبي عليه السلام من مثل اقوال الصحابة والتابعين وغيرهم من العهود الأولى.

يشرح هذه المسألة صبحي الصالح فيقول: "لو أخذنا بالرأي السائد بين المُحدِّثين، ولا سيما المتأخرين منهم، لرأينا الحديثَ والسُّنَّةَ مُتَرَادِفَيْنِ مُتَسَاوِيَيْنِ، يوضع أحدهما مكان الآخر: ففي كل منهما إضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بَيِّنَةٌ أَنَّ رَدَّ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ إِلَى أَصُولِهِمَا التَّارِيخِيَّةِ يُؤَكِّدُ وجود بعض الفروق الدقيقة بين الاستعمالين لغة واصطلاحاً"<sup>1</sup>

ثم يبدأ في تتبع التغيرات التاريخية والأسباب الواقعية التي أدت بعلماء الحديث إلى التفريق بين هذه المصطلحات فيقول مثلاً عن السنة والحديث: "فإذا كان الحديث عامًّا يشمل قول النبي وفعله، فَالسُّنَّةُ خَاصَّةٌ بِأَعْمَالِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -"<sup>2</sup>، على أساس أن السنة هي الطريقة العملية أما الحديث فيختص بالكلام والقول المنقول، ثم ينتصر للذين لا يفرقون بين السنة والحديث فكلاهما من عند الرسول عليه وسلم، ليصل للكلام عن الفرق بين الخبر والأثر والحديث وأن سبب تخرج البعض من إطلاق الخبر على الحديث إنما يعود إلى ظهور ما يسمى بالإخباريين الذين يهتمون بالتأريخ للأحداث والوقائع التاريخية ثم جاء من يهتم بالجانب القصصي بعيداً عن التمهيد والنقل الرزين للأحداث التاريخية وكما قال عن وضع هذه الفروق لتمييز المحدث عن الإخباري<sup>3</sup>.

وبعد مناقشة وتتبع المصطلحات المتعلقة بالحديث والسنة يصل إلى قناعة أكدها منذ البداية هي الأخذ برأي الجمهور فيقول: "فقد أخذنا برأي الجمهور في تساوي هذه المصطلحات جميعاً في إفادة التحديث والإخبار، وعليهما مدار البحث في علم أصول الحديث"<sup>4</sup>.

وخلاصة القول أن الحديث هو كل ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

### ثانياً: تعريف الموضوع

لقد مر بنا في الجزء الأول من هذه الدروس الحديث عن الموضوع وهنا سنقوم بتقديم مختصر لما فصلناه سابقاً.

تدور المعاني اللغوية للموضوع على معني اثنين أحدهما: الإلقاء والتثبيت، أو التزام مكان معين، والثاني هو: الحط والخفض خاصة في المكانة المعنوية.

ربط التفسير وكذا الحديث بالمعنى الأول فلا إشكال فيه، ذلك أن المفسر أو الشارح يلتزم موضوعاً معيناً لدراسته من خلال القرآن الكريم أو السنة النبوية، لكن ربط التفسير بالموضوع بحسب المعنى الثاني والذي يعني الحط من المكانة والقدرة قد أثار الحرج عند بعض الباحثين، وخاصة أننا نعلم بأن المحدثين يعتبرون الحديث الموضوع هو المكذوب على الرسول عليه السلام من هنا درس عبد الستار فتح الله سعيد هذه المسألة وعاد إلى القرآن الكريم ووجد أن وصف الشيء بالموضوع لايعني غالباً الحط من القيمة والمكانة، بل يقصد به المدح وقد قال تعالى عن بيته الحرام: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/96]، وقال عن الميزان: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن/7]، وقال عن الجنة وما فيها من جزاء حسن لأصحابها: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [13]

<sup>1</sup> صبحي إبراهيم الصالح، علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، دار العلم للملايين، بيروت، ط5: 1984م، ص3.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص6.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص10.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص11.

وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ {14} ﴿ [الغاشية/13-14]، من هنا يرتفع الحرج عن وصف التفسير بالموضوعي وكذا الشرح الحديثي بالموضوعي.

ويبقى أن المقصود بالموضوعي هو التزام موضوع وقضية معينة لدراستها والتعمق في بحثها من خلال نصوص السنة النبوية، لذا قال عبد الستار فتح الله سعيد في تعريف الموضوع: "القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة"<sup>1</sup>، وهذا التعريف خاص بالموضوع القرآني وبالمثل يمكن لنا القول بأن الموضوع هو القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في السنة النبوية و لها جهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة.

وكما ذكرنا من قبل فإن الموضوع عند لعبد الستار فتح الله سعيد هو القضية التي نستشفها من القرآن، لهذا جاء تعريفه له بهذا الشكل، ولكن هناك من يرى أن القضية قد نستشفها من خارج النص القرآني لا من داخله، لذا نجد مصطفى مسلم يخالف في تعريفه للموضوع تعريف فتح الله سعيد، فيقول: «وفي الاصطلاح قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم»<sup>2</sup>، وعليه فالموضوع يستقى ويستشف من خارج النص القرآني حسب التعريف الثاني، لا من داخله حسب التعريف الأول.

والأمر كذلك بالنسبة للسنة النبوية فقد نستشف الموضوع والقضية من السنة النبوية بحد ذاتها وقد نستشفها من خارج السنة أي من الواقع الفكري والعلمي الذي تتغير اهتماماته وتتنوع فنقوم بعرضها على السنة النبوية لعلها تسعفنا بحلول وأجوبة لهذه القضايا.

### ثالثاً: تعريف الحديث الموضوعي

بعدما تعرضنا لتعريف الحديث ثم الموضوع نصل إلى بيان معنى الحديث الموضوعي هذا المركب الوصفي، وكما هو معلوم فالمركبات في اللغة العربية ستة منها المركب البياني الوصفي والذي يكون بين الصفة والموصوف.

لقد نسج رمضان إسحاق الزيان على منوال تعاريف التفسير الموضوعي تعاريف للحديث الموضوعي ثم قدما تعريفاً فقال: "هو علم يبحث في الموضوعات التي تناولتها السنة النبوية الشريفة، والمتحدة معنى أو غاية، من خلال جمع أحاديث الموضوع من مصدر حديثي أصلي، أو عدة مصادر، أو في ضوء السنة النبوية، بحيث يقوم الباحث بتحليل النصوص الحديثية المقبولة ومقارنتها ونقدها ثم محاولة ربطها للوصول إلى روح النص النبوي من أجل تطبيقه في الواقع المعاصر"<sup>3</sup>، ومن خلال هذا التعريف يعتبر الزيان الحديث الموضوعي علماً، وكما ذكرنا من قبل أن التفسير أو الحديث الموضوعي كلاهما منهج جديد في التفسير أو الحديث فقط.

هذا المنهج الموضوعي يقابل المناهج المعروفة قديماً خاصة المنهج التحليلي سواء في تفسير القرآن الكريم أو في شرح الحديث النبوي، وعليه فالحديث الموضوعي ما هو إلا منهج جديد في الشرح الحديثي. وهذا المنهج يستخدم لدراسة الموضوعات والقضايا التي تناولتها السنة النبوية، ثم يأتي للتفصيل في خطوات استخدام هذا المنهج المستجد، وأهمها جمع الأحاديث من مصدر حديثي واحد

<sup>1</sup> عبد الستار فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي، ص 20.

<sup>2</sup> مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص 16.

<sup>3</sup> رمضان إسحاق الزيان، الحديث الموضوعي دراسة نظرية، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، 2002م، ص 214.

أو من مجموع مصادر حديثة، مع التحليل والمقارنة والنقد والربط، ثم يأتي لذكر الهدف من استخدام المنهج وهو الوصول للفهم من أجل التطبيق على الواقع.

يأتي الزيان بعد ذلك لذكر خصائص هذا العلم فيذكر مثلاً أنه اجتهادي يدرس الموضوعات التي جاء ذكرها في السنة النبوية، كما يذكر إمكانية دراسة حديث واحد فقط دراسة موضوعية، وهذه النقطة ستصبح محل دراسة وتحقيق عند معالجة ما يسمى بأنواع الحديث الموضوعي، مع العلم أن الزيان يرى أن الحديث الموضوعي ثلاثة أنواع اثنان منها يتعلقان بمساحة الدرس هل تقتصر على مصدر واحد أم تتعدى إلى مصادر مختلفة، فالدراسة الموضوعية يمكن أن تعتمد مصدراً واحداً فقط كصحيح البخاري مثلاً، أو عدة مصادر كالبخاري ومسلم أو الكتب الستة مثلاً.

كما أشار إلى أن الدراسة الموضوعية تعتمد المقبول من السنة فقط ولا تعتمد الضعيف الذي لا يحتج به، وفي الأخير نبه إلى أمر مهم جداً وهي أن الدراسة الموضوعية للحديث النبوي هي دراسة تخاطب عصرنا معيناً ولا تفرض نفسها على العصور الأخرى السابقة منها أو اللاحقة وسنفضل في هذه الخاصية فيما يأتي.

ومن الذين قدموا تعريفاً بسيطاً للحديث الموضوعي سعاد بيطاط التي قالت: "الحديث الموضوعي: هو منهج يدرس قضايا ومسائل من الواقع من خلال جمع كل، أو جل الأحاديث الصحيحة والحسنة الواردة في الموضوع"<sup>1</sup>، وعند شرحها لهذا التعريف أشارت إلى أن هدف الحديث الموضوعي هو معالجة مشكلات الواقع الإسلامي الجديد، من خلال حديث واحد أو مجموعة أحاديث، ثم أشارت على أنواع الحديث الموضوعي وهنا أشارت إلى ثلاثة أنواع هي الحديث الموضوعي الذي يعالج الموضوعات والقضايا، ثم الحديث الموضوعي للمصطلحات وأخيراً الحديث الموضوعي الذي يعالج حديثاً واحداً فقط، وهذا ما سنفضل القول فيه لاحقاً.

لقد فصلت سعاد بيطاط في أن المواضيع تستشف من الواقع بخلاف الزيان الذي يرى أن المواضيع تؤخذ من السنة الشريفة ثم بعد دراستها فهمها في إطار المستجدات نقوم بتنزيلها وتطبيقها على الواقع.

ذكر حمزة المليباري في مقدمته لكتابه "دراسات تطبيقية في الحديث الموضوعي" ملاحظة مهمة وهي أن التركيب الحديث الموضوعي تركيب مشكل فكل حديث له موضوع خاص به، واقترح مصطلح "الشرح الموضوعي للحديث" لكن غلبة الاستعمال فرضت عليه استعمال مصطلح "الحديث الموضوعي"<sup>2</sup>، ثم أشار إلى ملاحظة أخرى وهي الفرق بين الدراسة الموضوعية والحديث الموضوعي حيث يرى أن الدراسة الموضوعية يكون منطلقها قضية أو موضوعاً معيناً بينما الحديث الموضوعي منطلقه الحديث فقط، والدراسة الموضوعية لا تختص بنص الحديث بل قد تعتمد النص القرآني الحديثي وغيرها من النصوص البشرية بينما الحديث الموضوعي يلتزم النص الحديثي فقط<sup>3</sup>.

وهذه النقطة كانت مثار جدل في التفسير الموضوعي وهي كذلك مع الحديث الموضوعي، ولا شك أن استبعاد الواقع وعدم جعله منطلقاً للدراسة يجعل الفهم بعيداً عن الواقع، هذا الواقع ما هو في الحقيقة إلا الفهم البشري للواقع، بمعنى ما أنتجه الفكر البشري، لذا فالانطلاق منها ليس عيباً بل ميزة

<sup>1</sup> سعاد بيطاط، الحديث الموضوعي منهج جديد في شرح الأحاديث النبوية الشريفة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 29، مؤسسة الرجاء للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، شوال 1432هـ-سبتمبر 2011م، ص 169.

<sup>2</sup> حمزة عبد الله المليباري، دراسات تطبيقية في الحديث الموضوعي، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، قسم أصول الدين، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى: 1435هـ-2014م، ص 7.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 7-8.

حيث نأتي بالفكر البشري الذي كان نتاج دراسة هذه القضايا والواقع ونقوم بعرضه على القرآن أو السنة لتمحيصه وغربلته ومن ثم أخذ الصالح من هذا الفكر ورفض الفاسد منه.

### المبحث الثاني: أهمية الحديث الموضوعي

يتوسع رمضان إسحاق الزيان في ذكر فوائد الدراسات الموضوعية للحديث النبوي، ويمكن لنا هنا، نلاحظ الملاحظة نفسها مع التفسير الموضوعي حيث أن عبد الستار فتح الله سعيد عندما كان ينظر للتفسير الموضوعي وضع على كاهله أهدافا كبيرة وهذه هي خصائص الدراسات المستجدة التي تضع الآمال العظيمة على كل مخترع جديد، وهنا يحسن بنا التواضع وعدم تحميل هذه المناهج ما لا تطيقه من الآمال والأهداف.

يذكر الزيان مثلا خاصة المسيرة لروح العصر خاصة مع ظهور نظريات وأفكار جديدة تحتاج منا أن نتوقف إزاءها لفهمها وتمحيصها وقبول الحسن منها ورد السقيم منها، كما يذكر مسألة بيان إعجاز الحديث النبوي وأنه وحي من عند الله تعالى<sup>1</sup>.

ثم يعرج على هدف تأصيل الدراسات الشرعية الجديدة مثل علم النفس الإسلامي والإعلام الإسلامي والاقتصاد الإسلامي وهذا شيء مقبول مع ملاحظة أن المنبري لهذا العمل عليه أن يأخذ بزاد وافر من العلوم الوضعية الجديدة من مثل الاقتصاد وعلم النفس والإعلام وعلم الاجتماع بالإضافة إلى العلوم الشرعية التي تعتبر القاعدة التي لا بد منها قبل التأسيس والتأصيل لهذه العلوم الوضعية<sup>2</sup>.

بعد ذلك يشير إلى قضية مهمة وإلى ملاحظة في قمة الروعة والحاجة إليها في الحقيقة تمس جميع الدراسات الإسلامية، هذه الملاحظة هي التفريق بين التقسيم الموضوعي والدراسة الموضوعية، حيث أن التقسيم الموضوعي هو "ترتيب الأحاديث حسب الموضوعات التي يتناولها الحديث ثم التفريع تحته إلى موضوعات جزئية"<sup>3</sup>، وأصل التقسيم الموضوعي هو عمل المحدثين الذين قاموا بتدوين الحديث النبوي فهناك من قسمه بحسب الرواة وهي المسانيد، وهذه لا تدخل في التقسيم الموضوعي وهناك من قسمه بحسب الأبواب الفقهية، وعليه فالتقسيم الموضوعي قديم بينما الدراسة الموضوعية جاءت متأخرة نوعا ما.

بعد التقسيم الموضوعي جاءت الشروح الحديثية والتي تعتمد المنهج التحليلي والذي التحليل والاستنباط، أما الدراسة الموضوعية فكما تعتمد التحليل في تعتمد النقد والمقارنة والتنزيل على الواقع. وهنا يمكن لنا أن نؤكد على قضية مهمة وهي الانطلاق من الواقع كما يذهب إلى ذلك محمد باقر الصدر، وهذه القضية تحدثنا عنها سابقا وأفضنا فيها وهي تتأكد عند محاولة التأصيل للنظريات والعلوم المستجدة خلال محاولة صبغها بالصبغة الإسلامية.

في الأخير يشير إلى ملاحظة مهمة وهي "أن الدراسة الموضوعية تخاطب عصرنا معينا فهي تميل إلى الوضوح وسهولة الأسلوب، بينما التقسيم الموضوعي يخاطب الأمة على مر العصور"<sup>4</sup>، وهنا نتوقف للإشارة إلى أن الشرح الحديثي والموضوعي للحديث يخاطب العصر الذي تم فيه الشرح، وكذا الأمر بالنسبة إلى التفسير فكل تفسير ومفسر يخاطب عصره، وهذا ما غاب عن عقول كثير من طلبة العلم فيقدسون أقوال العلماء ولا يستطيعون النظر فيها ولا تقليبها ونقدها وتمحيصها وقبول الحسن منها ورد غيرها وهذا من التقليد والجمود الذي أصابنا جميعا.

<sup>1</sup> رمضان إسحاق الزيان، الحديث الموضوعي دراسة نظرية، ص 215.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 216.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 216.

<sup>4</sup> رمضان إسحاق الزيان، المرجع السابق، ص 218.

وعليه فالدراسة الموضوعية هي آراء وتصورات جديدة في فهم الحديث النبوي، كما أن التفسير الموضوعي ما هو إلا فهم جديد في ضوء ما جادت به القريحة البشرية المتواضعة، اختلفت عن غيرها في استخدام منهج جديد هو المنهج الموضوعي.